العدول الترتيبي
في التراكيب النحوية الدالة على ثنائيّة التساهل والتشدد
في القرآن الكريم

أ.م.د. طه صالح أمين آغا م.م. ماجد حميد آوختي
كلية اللغات/جامعة السليمانية

تاريخ استلام البحث ٢٠١٨/٥/١٥ تاريخ قبول النشر ٢٠١٩/٦/٢٨

ملخص البحث

اتخذ القرآن الكريم أساليب عديدة في خطابه الأزلي لتربية المتلقين للوحي الإلهيّ، واختار الأسلوب الموائم لطبيعة الأحداث ونفوس المتلقين بحيث يطرق والحديد ساخن، ولا يحيد عن إصابة الهدف، وبهذا بلغ هذا الدين مداه المرسوم له في وقت قياسي أبهر علماء التربية والاجتماع في عصرنا الحاضر، ومن تلك الأساليب أسلوب التساهل والتشدد في تحقيق توجيهاته التربوية وتنفيذ أحكامه، ويعجب المرء من أثر هذه الثنائية في التربية القرآنية، ولاسيما بالأساليب النحوية التي اتكأ عليها لتبليغ المفاهيم القرآنية وتحقيق غاياتها، ومن تلك الأساليب التركيبية العدول الترتيبي الذي تتصف به الجملة العربية، وهذه مرونة اختصت بها العربية في تحريك عناصر الجملة تقديماً وتأخيراً لتحقيق أغراض دلاليّة.

وقد عبر القرآن الكريم بهذه الثنائية عن أحكام ومفاهيم قرآنية في تراكيب نحوية بليغة على أساليب شتى، وقد اخترنا منها - في هذا البحث- ما اعتمدت اسلوب العدول الترتيبي(التقديم والتأخير)، لما لهذا الأسلوب من الأولوية في القرآن الكريم عند إرادة التركيز والتأكيد على ما يستحق من العناية والاهتمام من أحكام ومفاهيم .

ومن ثَمَّ قمنا باختيار نماذج من الآيات القرآنية التي تضمنت اسلوب التساهل أو التشدد، ثُمَّ قمنا بتحليل تلك التراكيب الدالة على تلك الثنائية نحوياً، مبيناً الدلالة النحوية التي يوحي بها العدول الترتيبي،وسلكنا المنهج التوليديّ التحويلي في التحليل، واستعنَّا بالمصادر والمراجع الخاصة للوصول إلى الكشف عن معاني البنية السطحية والعميقة لتلك التراكيب التي عبرت عن ثنائية التساهل والتشدد.

وأرتأينا أن يقع البحث في مدخل تمهيديّ، وخاتمة يسبقها مبحثان، هما:

الأول: يتناول العدول الترتيبي في آيات التساهل.

الثاني: يتناول العدول الترتيبي في آيات التشدد.

وقد استعنَّا عند تحليل التراكيب النحوية لبيان العدول الترتيبي بالمخططات التوضيحية، ورموز ومصطلحات لإجراء عملية التحويل بالعدول، وتعيين العناصر النحوية فيها.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد اتخذ القرآن الكريم أساليب عديدة في خطابه الأزلي لتربية المتلقين للوحي الإلهيّ ، واختار الأسلوب الموائم لطبيعة الأحداث ونفوس المتلقين بحيث يطرق والحديد ساخن، ولا يحيد عن إصابة الهدف، وبهذا بلغ هذا الدين مداه المرسوم له في وقت قياسي أبهر علماء التربية والاجتماع في عصرنا الحاضر، ومن تلك الأساليب أسلوب التساهل والتشدد في تحقيق توجيهاته التربوية وتنفيذ أحكامه، ويعجب المرء من أثر هذه الثنائية في التربية القرآنية ولاسيما بالأساليب النحوية التي اتكأ عليها لتبليغ المفاهيم القرآنية وتحقيق غاياتها، ومن تلك الأساليب التركيبية العدول

الترتيبيّ الذي تتصف به الجملة العربية، وهذه مرونة اختصت بها العربية في تحريك عناصر الجملة تقديماً وتأخيراً لتحقيق أغراض دلاليّة.

وقد عبر القرآن الكريم بهذه الثنائية عن أحكام ومفاهيم قرآنية في تراكيب نحوية بليغة على أساليب شتى، وقد اخترنا منها ما اعتمدت اسلوب العدول الترتيبي(التقديم والتأخير)، لما لهذا الأسلوب من الأولوية في القرآن الكريم عند إرادة التركيز والتأكيد على ما يستحق من العناية والاهتمام من أحكام ومفاهيم .

ومن ثَمَّ قمنا باختيار نماذج من الآيات القرآنية التي تضمنت اسلوب التساهل أو التشدد، ثُمَّ قمنا بتحليل تلك التراكيب الدالة على تلك الثنائية نحوياً، مبيناً الدلالة النحوية التي يوحي بها العدول الترتيبي، وسلكنا المنهج التوليديّ التحويلي في التحليل، واستعنَّا بالمصادر والمراجع الخاصة للوصول إلى الكشف عن معاني البنية السطحية والعميقة لتلك التراكيب التي عبرت عن ثنائية التساهل والتشدد.

وأرتأينا أن يقع البحث في مدخل تمهيديّ، وخاتمة، يتقدمها مبحثان، هما:

الأول: يتناول العدول الترتيبي في آيات التساهل.

الثاني: يتناول العدول الترتيبي في آيات التشدد.

وقد استعنَّا عند تحليل التراكيب النحوية لبيان العدول الترتيبي بالمخططات التوضيحية، ورموز ومصطلحات لإجراء عملية التحويل بالعدول، وتعيين العناصر النحوية فيها (*).

مدخل تمهيديّ:

يُعّد العدول الترتيبيّ (التقديمُ والتأخير) ظاهرةً أسلوبية تعبيرية في اللغة مرهونة بسياقات ومقامات مختلفة، وتعني تغييراً «في النظام التركيبي للجملة يترتب عليه بالضرورة تغيير الدلالة وانتقالها من مستوى إلى مستوى آخر» [١]، إذ نجد قضاياها ودلائلها منتشرةً عند النحويين وعند البلاغيين فهي من حيث الأصولُ ظاهرةٌ نحوية، ومن حيث الدلائلُ ظاهرة بلاغية، وهي قانون أساس من قوانين النظرية التوليدية التحويلية الغربية، ومن أبرزها وأكثرِها وضوحاً، لأن المتكلم يَعمد إلى مورفيمٍ حقُّه التأخير فيما جاء عن العرب فيقدِّمه، أو ما حقُّه التقديم فيؤخره طلباً لإظهار ترتيب المعاني في النفس[٢]. وقد عُني نحاة العربية بهذه الظاهرة التحويلية النحوية، فإذا أراد المتكلم أن يؤكد جزء من التركيب النحوي بدون إدخال أدوات التوكيد يجد اللغة العربية بقرائنها المتنوعة –وأهمها العلامة الإعرابية – تساعده على تأدية هذا المعنى، فيقدم الجزء الذي يهتم به: «وإنما يقدمون الذي بيانُه أهمُّ لهم وهمْ ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يُهمّانِهم وَيعْنِيانهم»[٣]. كما درسوا أثرها من ناحية تركيبية ودلالية، حيث أشاروا إلى أن التقديم قد يؤدي إلى انتقال الكلمة من حالة إعرابية إلى حالة إعرابية أخرى، من ذلك أشارتهم إلى أن «نعت النكرة إذا تقدَّم عليها أعرب حالاً»[٤]، نحو قول الشاعر[٥]:

لِمَيَّةَ مُوحِشاً طَلَلُ يَلُوحُ كَأَنَّـه خِلَلُ

فالأصل التوليدي لصدر البيت: (طللٌ موحشٌ لميةَ)، وقد تحقق فيه شرط الابتداء بالنكرة، كون المبتدأ نكرة موصوفة. وهذا التقديم دَفَع النحاة إلى التغيير في الإعراب يتناسب مع (الدلالة) قبل تناسبه مع التغيير في (التركيب) نفسه، فكان إعراب (موحشاً) حالاً، هو الذي يجعل التركيب يلتقي مع الدلالة دون أن يكون هناك تناقض، فصاحب هذه الحال هو المبتدأ (طلل)، بعد أن كانت – أي الحال – في الأصل نعتاً له، وهذا يتفق مع التغيُّر الدلالي الذي

أحدثه التغيير في التركيب، وإبراز مفهوم الأهمية الذي وضعه سيبويه عنوانا للتقديم والتأخير بوجه عام[٦]. كما يتفق مع ما ميَّز (جومسكي) بين نوعين من تغيير ترتيب الكلمات في الجملة: تغيير لا يؤدي إلى تبديل النظام الأساس النحوي للتركيب، ويحمل فقط طابعاً أسلوبياً سمَّاه: (التقديم أو التأخير الأسلوبي STYLISTIC INVERSION)، وتغيير يؤدي إلى تبديل النظام الأساس النحوي للتركيب وتنجم عنه تحولات ووظائف نحوية سمَّاه: (التقديم أو التأخير التحويلي TRANSFORMATION INVERSION). وهو ما أفصح عنه عبدالقاهر الجرجاني بأن تقديم الشيء على وجهين: تقديم على نية التأخير، وتقديم لا على نية التأخير، وذلك على أن تنقل الشيء من حكم إلى حكم، وتجعله بابا غير بابه، وإعرابا غير إعرابه[٧]، إلاّ أن عبد القاهر لم يستحسن علّة العناية والاهتمام التي جعلها سيبويه سرّ التقديم في التراكيب، قائلا: «وقد وقعَ في ظنونِ الناسِ أنه يكفي أن يقالَ: إنه قُدِّم للعناية ولأنَّ ذكرَه أهمُّ، من غير أن يُذْكرَ مِن أين كانت تلك العنايةُ ولمَ كان أهمَّ، ولتخيُّلهم ذلك قد صَغُر أمرُ التقديمِ والتأخيرِ في نفوسهم وهوَّنوا الخطبَ فيه، حتى إنك لترى أكثرَهُم يرى تتبُّعَه والنظرَ فيه ضرباً من التكلُّف»[٨]. فالجرجاني لم يقف عند حدود الأغراض البلاغية للعدول التركيبي التي اقتصرت على العناية والاهتمام، وإنما ذهب إلى أبعد من ذلك أعمقَ وأدق، وهو «تحرير المعنى وضبط الدلالة»[٩]، لأن العدول الموضعي عن القاعدة النحوية يمثل «ضرباً من الخروج عن اللغة النفعية إلى اللغة الإبداعية»[١٠]، منبّها إلى مكانة التقديم والتأخير بأنه «بابٌ كثيرُ الفوائد جَمُّ المحاسن واسعُ التصرُّف بعيدُ الغاية، لا يزالُ يفتَرُّ لك عن بديعةٍ ويُفضي بكَ إلى لطيفةٍ ، ولا تزالُ ترى شِعراً يروقُك مسمَعُه ويَلْطُف لديك موقعُه ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أنْ راقك ولطُف عندك أن قُدِّم فيه شيءٌ وحُوِّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان»[١١].

استنادا إلى هذا الذي تقدَّم، نستنتج أن لطريقة التصرف في الكلام والعدول به من نمط إلى آخر بـ(التقديم والتأخير) الذي يرتبط لدى الغربيين بالقواعد النحوية التي تهتم بمنهج التحويل (TRANSFORMATION) في التراكيب النحوية، أثراً كبيراً في تحقيق أمرين[١٢]:

أولهُما: توليدُ تركيبٍ جديدٍ مغاير للتركيب السابق نسقاً، الأمر الذي أشار إليه الأسلوبيون بأنه «كلما تصرَّف مستعملُ اللغة في هياكل دلالاتها، أو أشكال تراكيبها بما يخرج عن المألوف، انتقل كلامه من السمة الإخبارية إلى السمة الإنشائية» [١٣].

وثانيهما: تحقيقُ مستوىً دلالي جديد، ذلك أن تحريك المكونات النحوية عن مواضعها الأصلية، وتحويلَ نسقها إلى نسق آخر، يحُتِّم تغييراً في الدلالة التركيبية، وربما تغييراً في الوظيفة النحوية كما تقدم. وقد نبَّه المستشرق الألماني (براجستراسر) إلى الفرق بين التركيبين: (جاء زيد)، و(زيد جاء) بقوله: «وإنما الفرق بينهما أني إذا قلتُ: (جاء زيد) خبَّرت مجيئه إخباراً محضاً لا يُخالطه شيء غيره، فتقديم الفعل هو العبارة المألوفة، وإذا قلت: (زيد جاء) كان مرادي أن أُنبه إلى أن الذي جاء هو زيد، فتقديم الفاعل عبارة عن الأهم، كون زيد هو الفاعل لا كونه فعل الفعل، وما يُنبَّه به السامع على هذا المعنى الخاص شيئان، الأول: تغيير الترتيب العادي، فكل شيء يُخالف العادة، هو أكثر تأثيراً من المألوف، والثاني: أن أول كلمة في التركيب، هي على العموم، المضغوطة في اللغة العربية»[١٤]. ومن المعلوم أنَّ للضغط وغيرِه مما يدور في فلك التنغيم تأثيراً ملموساً في الدلالة التركيبية.

ولاشك أن للتقديم والتأخير في وضع الجمل وأجزائها في القرآن الكريم أثراً عجيباً في تغيير دلالة التركيب، فهو – كما قلنا – عنصر من عناصر التحويل التي يمكن أن تطرأ على التركيب، فيُحدث أثراً واضحا في الدلالة، وليس مجرد «رعايةٍ لموسيقى الفاصلة القرآنية» [١٥] كما زعم بعضهم، وفي الجملة القرآنية لا بدَّ « أن يكون هذا

التقديمُ مشيراً إلى مغزىً، دالاً على هدف، حتى تُصبح الآية بتكوينها تابعة لمنهج نفسي يتقدم عندها فيها ما تجد النفس تقديمَه أفضلَ من التأخير، فيتقدم مثلاً بعضُ أجزاء التركيب حين يكون المحورَ الذي يدور عليه الحديث وحده فيكون هو المقصودَ والمَعْني»[١٦]. إذ يُقدّم القرآن الكريم لفظاً ويُؤخّر آخر، أو يُقدّم معمولاً على عامله،أو متعلقاً على متعلقه، وما هذا إلاّ لغايات وأغراض متعددة يُقصَد إليها، وسنحاول في هذا البحث أن نكشف عن أغراض العدول الترتيبيّ (التقديم والتأخير) ودلالاته في الآيات التي وردت في سياق (التساهل والتشدد).

المبحث الأول

العدول الترتيبي في سياق التساهل:

فما جاء من العدول الترتيبي في سياق التساهل قوله تعالى:

﴿ **وَلا تُجَـدِلُوا أَهْلَ الْكِتَـبِ إلا بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الّذِيْنَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالّذِيْ أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـهُنَا وَإِلَـهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾[١٧]

تُوصي هذه الآية الكريمة بمجادلة أهل الكتاب بالرفق واللين في الدعوة إلى الإسلام، ووجهُ الوصاية بالحسنى في المجادلة، أن أهل الكتاب مؤمنون بالله غيرُ مشركين به، فهم متأهلون لقبول الحجة غير مظنون بهم المكابرة، ولأن آداب دينهم أكسبتهم معرفة طريق المجادلة، فينبغي الاقتصار في مجادلتهم على بيان الحجة دون إغلاظ حذراً من تنفيرهم. فجاء في قوله تعالى: (ونحن له مسلمون) تقديم الجار والمجرور (له) على عامله (مسلمون) الذي هو خبر المبتدأ (نحن) لإفادة الاختصاص بإسلام الوجه إلى الله، أي أن كِلا الفريقين مسلمون بوحدانية الله وعدم الإشراك به[١٨]، وذلك بدليل قولِه تعالى ﴿ ... وَإِلَـهُنَا وَإِلَـهُكُمْ وَاحِدٌ﴾، فلأجل (اختصاص) الفريقين بإسلام الوجه إلى الله ووحدانيته، الذي تحقق بالتحويل الموضعي، استوجب والحالة هذه أن يتساهل المؤمنون مع أهل الكتاب، ويجادلوهم بالرفق واللين والقول الجميل[١٩]، يقول فخر الدين الرازي بعد أن أشار إلى أن أهل الكتاب جاءوا بكل حسن إلاّ الاعتراف بنبوة محمد(ﷺ)، إذ «وحّدوا وآمنوا بإنزال الكتب، وإرسال الرسل والحشر، فلمقابلة ذلك يُجادلون أولاً بالأحسن»[٢٠].

والجملة التَّوليديَّة في واحدة من مراحل التَّحويل هي:

و نحن مسلمون له

عطف (م. معرفة + خ. نكرة + قيد مخصص)

ولما أراد الله سبحانه وتعالى التركيز والتأكيد على وحدانيته وجذْبَ انتباه المخاطبين إليه أولاً، قدَّم موضع اهتمامه، وهو المعمول (له) على عامله (مسلمون)، مفيدا الاختصاص:

قيد مخصص

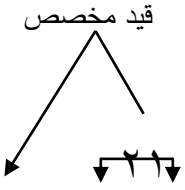

تلازم جر

إسناد

= عطف (مبتدأ + قيد محدد مقدَّم لإفادة التخصيص والحصر + خبر)

فالتحويل الموضعي أكد إسلام أهل الكتاب والمؤمنين بوحدانية الله عزّ وجل، لأن المراد بـ(ونحن له مسلمون): «كِلا الفريقين، فريق المتكلمين وفريق المخاطبَين، فيشمل المسلمين وأهل الكتاب، فيكون المراد بوصف (مسلمون) أحد إطلاقيه وهو إسلام الوجه إلى الله، أي عدم الإشراك به»[٢١]، وباعتبار التحويل ضرباً من ضروب التوكيد، فهو لم يكن إلا على أساس منح المقدَّم شيئاً من الاهتمام و التخصيص[٢٢]، وكذلك أن الكلام إذا نُقل من تركيب إلى تركيب كان ذلك أحسنَ تطرية لنشاط السامع وأقوى إيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على نمط واحد، وقد تختص مواقعه بفوائد[٢٣].

ومن أمثلة تقديم الجار والمجرور على عامله في سياق التساهل والتسامح، قوله تعالى:

﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ**﴾[٢٤]

فهذه الآية تضمنت التأكيد على «النهي عن الفظاظة وهي الشراسة والخشونة في المعاشرة، وهي القسوة والغلظة، وهما من الأخلاق المنفرة للناس لا يصبرون على معاشرة صاحبها وإن كثُرت فضائله، ورُجيت فواضله، بل يتفرقون، ويذهبون من حوله ويتركونه وشأنه لا يبالون بما يفوتهم من منافع الإقبال عليه...، وإذاً لفاتتهم هدايتُك، ولم تبلغ قلوبَهم دعوتُك»[٢٥]، فلذلك جاء تقديم الجار والمجرور (برحمة) فيها على عامله فعل اللين الماضي، للتأكيد على عدم التشدد، والتساهلِ والتسامح والصبر والتجلد مع المسلمين الذين تولّوا يوم واقعة (أحد) وتركوا مراكزهم ما أدى إلى خسارتهم المعركة، فلم يخاطبْهم الرسول (ﷺ) بالتغليط والتعنيف، و«لم يتشدد في عتب ولا توبيخ» [٢٦]معهم وإنما خاطبهم بالكلام اللّيّن الذي يوصل إلى الاهتداء بكتاب الله[٢٧]. وبيَّن تبارك وتعالى أنه إنما فَعَلَ ذلك بتوفيق الله تعالى إياه، فسُهلت لهم خلائِقُك، وحَسُنت لهم أخلاقُك حتى احتملتَ أذى مَنْ نالك منهم أذاه، وعفوت عن ذي الجرم منهم جرمَه. وقد دل فعل المُضي في قوله (لنت) على أن ذلك وصفٌ تقرّر وعُرف من خُلقه[٢٨].

وأصل الجملة التوليدي: قيد مخصص قيد مخصص

لنت لهم برحمةٍ كائنةٍ من الله

= (فعل +فا (ض) + جار ومجرور + جار ومجرور + نعت + جار ومجرور)

ولما أراد سبحانه وتعالى أن يُمَكِّن الرحمة التي أودعها فيه عمد إلى الإيجاز بالحذف، فحذف نعت الرحمة، فتحولت إلى:

لنت لهم برحمة Ø من الله ⟸

ولما أراد الله تعالى العناية والتأكيد على الجار والمجرور (برحمة) قدَّمه على الفعل (لنت)، وذلك لأنه محور القضية وهو الرأفة والصفح والتساهل مع أمة الدعوة والمسلمين، مما يجعلهم يلتفون حول الرسول (ﷺ) أكثر من ذي قبل، حتى ورد «أن صَفْحَ النبي (ﷺ)وعفوَه ورحمتَه كان سبباً في دخول كثير في الإسلام» [٢٩]، وقد أفاد تقديم الجار والمجرور هنا الحصر والاختصاص بالإضافة إلى الاهتمام. ولزيادة التأكيد على هذه الرحمة المودَّعَةِ في النبي (ﷺ)، أُدخل (ما) بعد حرف الجر لتأكيد الجملة بما فيها من الحصر والاختصاص [٣٠]:

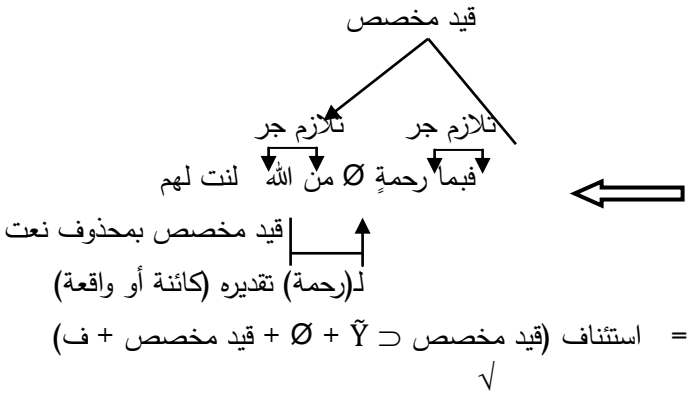

= استئناف (قيد مخصص ⊃ Ÿ + Ø + قيد مخصص + ف)

√

فالجملة تحويلية فعلية قدم قيد التخصيص فيها للعناية والاختصاص، وداخلها عنصر زيادة وهو (ما) للتأكيد، وحذف فيها نعت القيد المخصص، وهذه ثلاثة عناصر تحويل طرأت على التركيب، إلا أن التقديم والتأخير كان أقوى هذه العناصر في الدلالة على التساهل.

ومن مظاهر التقديم والتأخير في سياق التساهل قوله تعالى:

﴿ **وَإِذا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ** ﴾[٣١]،

قال بعض المفسرين إن هذه الآية نزلت في قوم كانوا مشركين فأسلموا، فتلقَّوا أذىً من قومهم فكانوا يعفون ويصفحون عنهم، وقال آخرون إن المشركين كانوا يسبّون مؤمني أهل الكتاب ويقولون لهم: تبًّا لكم تركتم دينكم، فيعرض المؤمنون عنهم ولا يَردُّون عليهم، بل أجابوهم بالجميل من القول. فالمراد من هذه الآية ما كان سباً وأذى،

فأدب أهل الإسلام الإعراضُ عنه، والقولُ على جهة التبرّي: (لَنَا أَعْمَالُنَا) قد رضينا بها لأنفسنا،(وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ) قد رضيتم بها لأنفسكم، توديعاً ومتاركةً لهم[٣٢]. إذ تقدم المسند الذي هو الخبر (لنا) على المسند إليه الذي هو المبتدأ (أعمالنا) للاختصاص والحصر. وأصل الجملة التوليدي:

أعمالنا لنا و أعمالكم لكم

[م + خ.(شبه جملة)] عطف [م + خ.(شبه جملة)]

فتركيب (أعمالنا لنا) جملة اسمية توليدية الهدف منها الإخبار فقط لا غير، أي نقل الخبر من صورته الذهنية في ذهن المخاطِب إلى صورة (فونولوجية) منطوقة تقع على سمع المخاطَب، فيدرك بدوره المطلوب منها وهو الإخبار لا غير، كون التركيب لا تركيز فيه على أي جزء من أجزاء المعنى[٣٣].

ولما أراد القرآن الكريم التأكيد على الإعراض عن الجاهلين ومتاركتهم، قدّم موضع العناية والاهتمام:

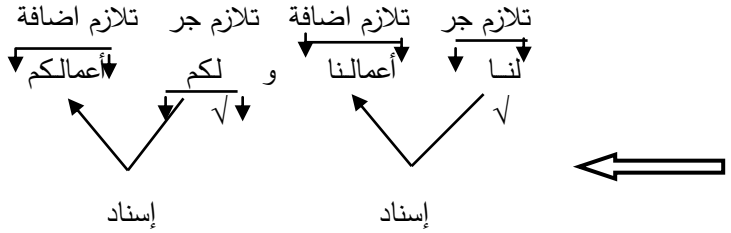

= [خ. مقدم لإفادة الاختصاص + م. مؤخر] عطف [خ. مقدم لإفادة الاختصاص + م. مؤخر]

وفي ذلك يقول ابن عاشور: «ولعلّ القرآن غيّر مقالتهم بالتقديم والتأخير لتكون مشتملة على الخصوصية المناسبة للإعجاز، لأن تأخير الكلام الذي فيه المتاركة إلى آخر الخطاب، أوْلى ليكون فيه براعةُ المقطع» [٣٤]، وتركيب (لا نبتغي الجاهلين) تعليلُ وبيانُ الداعي للمتاركة والموادعة، أي أن ذلك خُلُقُهم فهم يطلبون العلم ومكارم الأخلاق، ولا يحبون مخالطة أهل الجهالة بالله وبدين الحق[٣٥].

فالجملة تحويلية اسمية قُدِّم فيها الخبر الذي هو الجار والمجرور (لنا) على المبتدأ الذي هو (أعمالنا) في التركيب الأول، وكذلك الخبر (لكم) على المبتدأ (أعمالكم) في التركيب الثاني، ليفيد اختصاص كلا الجانبين بما هم عليه من شؤون وأعمال، وهذا الاختصاص فيه تساهل وتسامح على سبيل المتاركة والموادعة والعفو والصفح مع الجاهلين عندما يُسمع منهم اللغو. يقول ابن كثير في بيان دلالة الآية على ذلك: إذا سفه على المسلمين الجُهّالُ بالسيء، لم يقابلوهم عليه بمثله، بل يعفون ويصفحون، ولا يقولون إلاّ خيرا، كما كان رسول الله (ﷺ) لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حِلماً[٣٦].

وضم قوله تعالى في سورة الشورى أربعة تقديمات في سياق التساهل:

﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَـلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـلُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيْرُ﴾ [٣٧].

إذ تقدم في الآية الخبر (المسند):(لنا)، على المبتدأ (المسند إليه):(أعمالنا)، وكذلك الخبر (لكم) على المبتدأ (أعمالكم) لإفادة الاختصاص و «الإنصاف، أي أن الله يجازي كلاً بعمله»[٣٨]، وقد تقدَّم أيضا المسند إليه الذي هو لفظ الجلالة (الله) على المسند الذي هو (يجمع بيننا)، والجملة في أصلها التوليدي فعلية:

قيد مخصص

يجمع الله بيننا

= (ف + فا)

ولما أراد المتكلم التأكيد على أن الخالق هو وحده الجامع بينهم فقط لا غير، قدّم الفاعل الذي هو لفظ الجلالة (الله) على فعله (يجمع بيننا)، للتحقيق والتأكيد، أي لتحقيق الجمع والحشر وتأكيد وقوعه، وقد أفاد الاختصاص، لأن الله سبحانه وتعالى هو الوحيد القادر على جمع هذه الأمم يوم القيامة، وذلك لفصل القضاء. وجاء خطاب (الله يجمع بيننا) مستعمَلاً في المتاركة والمحاجزة، أي سأترك جدالكم ومحاجتكم لقلة جداواها فيكم، وأُفوض أمري إلى الله يقضي بيننا يوم جمعنا، فيومئذ يتبين المحق من المبطل [٣٩]:

قيد مخصص

الله يجمع بيننا

إسناد تلازم إضافة

= (فا + ف)

√

فالجملة تحويلية فعلية، قُدِّم فيها الفاعل وفقاً لقواعد النحو التحويلي من موقعه الأصل إلى موقع متقدم في الجملة للأهمية والعناية، مفيدا الاختصاص، وليست جملةً اسمية. وهذه مسألة خلافية حول الوظيفة النحوية للمقدَّم، فقد أجاز الكوفيون أن يتقدم الفاعل على فعله ويبقى فاعلا له، في حين لا يجيز البصريون ذلك ويعربونه مبتدأً، والجملةُ الفعليةُ بعده خبرٌ له، ومرتبطة به وجوباً برابط يعود عليه، وهو الضمير المستتر، ويعرب فاعلا للفعل[٤٠].

فيكون تحليل التركيب عندهم كما يأتي:

SVO = [S + (PRED ⊃ (V + PRON + O))]

ولعل فيما ذهب إليه الكوفيون يتفق مع المنهج اللغوي المعاصر الذي يقوم على وصف ظاهر التركيب للوصول إلى معنى بعينه. فالاسم المتقدم عندهم هو فاعل الفعل الذي يليه لكنه تقدم

لغرض في المعنى، وهو توكيد الاسم الذي قام بالفعل. فيكون تحليل التركيب عندهم كما يأتي:

VSO ⇨ SVO = [S + V + O ; AGENT + V + O]

كما تقدم في الآية الجار والمجرور (إليه) وهو الخبر، على المسند إليه (المصير)، لإفادة الحصر، فالجملة اسمية تحويلية عن أصلها التوليدي (المصير إليه) لإبراز معنى الحصر:

تلازم جر

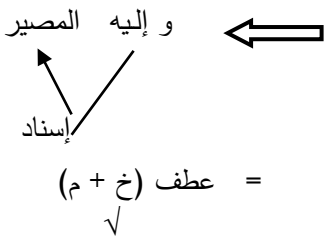

وهذا الاختصاص الذي تحقق بالعدول الترتيبيّ على وفق قواعد النحو التحويلي في التراكيب الأربعة: (لنا أعمالنا، ولكم أعمالكم، الله يجمع بيننا، وإليه المصير) ، اقتضى المحاجزة بين المؤمنين وبين اليهود، بعد ظهور الحق وقيام الحجة والإلزام، وهي محاجزة في المقاولة، ومتاركة في المقاتلة على سبيل التساهل والتسامح، في ذلك الوقت حتى أذن الله في قتالهم لما ظاهروا الأحزاب [٤١].

ولما كان رسول الله (ﷺ) يحرص على أن يؤمن جميعُ الناس بالله الواحد الأحد، ويتابعوه على الهدى، ويريد أن يُلزمهم على ذلك، أنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية من سورة يونس:

﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيْعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِيْنَ** ﴾[٤٢]

مقدّما فيها الضمير المنفصل (أَنتَ) على الفعل (تُكرِه) تنبيها لنبيّه محمدٍ (ﷺ) على ضرورة ترك الإكراه والخشونة، واعتماد التساهل والتسامح و«الوصاية باللطف»[٤٣] في الدعوة، لأنه لن يصدقه ولن يتبعه ويُقرَّ بما جاء به إلا مَنْ شاء ربك أن يصدقك، لا بإكراهك إياه [٤٤]. فالإيمان متروك للاختيار، فلا يَحِلُّ للرسول ولا لأحد أن يُكرِهَ أحداً عليه، لأنه لا مُسَوِّغَ للإكراه في مشاعر القلب وتوجهات الضمير، ولو لم يكن كذلك لأجبر سبحانه وتعالى الناس جميعا وقهرهم عليه، حتى لا تكون لهم إرادة في اختياره[٤٥]. والذي دل على هذا المعنى، هو التحويلُ الموضعي في التركيب (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ) بعد الاستفهام الإنكاري.

غير أن ابن عاشور أوّل قوله تعالى بقوله: «فنَزَّلَ النبيَّ (ﷺ) لحرصه على إيمان أهل مكة، وحثيث سعيه لذلك بكل وسيلة صالحة، منزِلةَ مَنْ يحاول إكراهَهم على الإيمان، حتى ترتّبَ على ذلك التنزيل إنكارُه عليه» [٤٦].

والجملة التَّوليديَّة في واحدة من مراحل التَّحويل:

أ فـتُكره أنت الناس

استفهام + عطف (ف + فا + مف)

هذا بالإضافة إلى أن «حروف الاستفهام هي بالفعل أولى» [٤٧].

ولكون هذا الحرص الشديد هو محلَّ التنزيل ومصبَّ الإنكار، جاء تقديم المسند إليه الذي هو (أَنتَ) على المسند الفعلي الذي هو (تُكرِه)، مفيدا العناية والاهتمام وتأكيداً لوقوع الإكراه، دون أن يقال (أفتُكره الناس)، ذلك لأن سبحانه وتعالى لم يشكّ في أن فعل الإكراه قد وقع، وإنما الشك والتردّد في الفاعل: مَنْ هو؟، متعجّباً من أن يصدر من النبي (ﷺ) العارفِ بمشيئة الله تعالى في شؤون الهداية، تصرفٌ كهذا، بأن يحرص حرصاً شديدا على هداية الخلق فيُلزمهم على ذلك. فأفاد تقديم المسند إليه على مثل هذا المسند تقوية الحكم بصدور الإكراه من النبي (ﷺ)، لتكون تلك التقوية محل الإنكار والتعجب[٤٨]:

استفهام

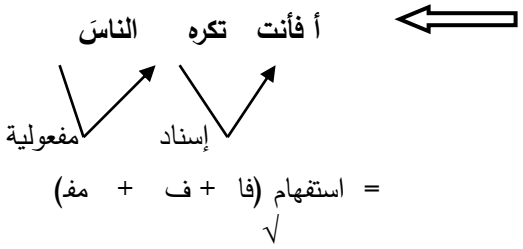

فالجملة تحويلية فعلية قُدِّم فيها الفاعل (أنت) على فعله (تُكره) لغرض يتعلق بالدلالة – بحسب قواعد النحو التحويلي – من موقعه في الأصل إلى موقع متقدم في الجملة. يؤيد صحة ما ذهبنا إليه قولٌ لعبد القاهر الجرجاني، يُبين فيه أثر تقديم الفاعل على فعله في تغيير الدلالة التركيبية: «وهذه مسائلُ لا يستطيعُ أحدٌ أن يمتنعَ من التَّفرقةِ بينَ تقديمِ ما قُدِّم فيها وتُرِكَ تقديمُه. ومن أبْينِ شيءٍ في ذلك الاستفهامُ بالهمزةِ فإنَّ موضعَ الكلام على أنك إذا قلت: أَ فعلتَ؟ فبدأتَ بالفعل كان الشكُّ في الفِعل نفسِه، وكان غرضُك من استفهامِك أن تعلمَ وجودَه. وإذا قلتَ : أَ أنتَ فعلتَ؟ فبدأتَ بالاسمِ كان الشكُّ في الفاعِل: مَن هو؟، وكان التردُّدُ فيه. ومثال ذلك أنك تقولُ: أَ بنيتَ الدارَ التي كنتَ على أن تَبْنيَها؟، أَقُلْتَ الشعرَ الذي كان في نفسِك أنْ تقولَه؟، أَ فَرِغْتَ منَ الكتابِ الذي كنتَ تكتُبه؟، تبدأ في هذا ونحوه بالفعل لأن السؤالَ عن الفعل نفسِه والشكَّ فيه، لأنك في جميع ذلك متردِّدٌ في وجودِ الفعل وانتفائه، مجوِّزٌ أن يكون قد كان وأن يكونَ لم يكُنْ. وتقولُ: أأنتَ بنيتَ هذهِ الدارَ؟، أأنتَ قلتَ هذا الشعرَ، أأنت كتبتَ هذا الكتابَ؟، فتبدأ في ذلك كلّه بالاسم. ذلك لأنك لم تشكّ في الفعل أنه كان، وكيف وقد أشرتَ إلى الدارِ مبنيةً والشعرِ مَقولاً والكتاب مكتوباً؟، وإنما شككتَ في الفاعل مَن هو. فهذا مِن الفرقِ لا يدفعُه دافعٌ ولا يشكّ فيه شاكٌّ، ولا يخفى فسادُ أحدِهما في موضع الآخر»[٤٩]، وعليه فإن الجملة تحويلية فعلية، الفاعل فيها مقدم للتأكيد والاهتمام بمن فعل الفعل. ولا يفيد التقديم هنا التخصيص، أي القصر ذلك لأن «المقام غير صالح لاعتبار القصر، إذ مجرد تنزيل النبي (ﷺ) منزلة من يستطيع إكراه الناس على الإيمان كافٍ في الإشارة إلى تشبيه حرصه على إيمانهم بحرص من يستطيع إكراههم عليه» [٥٠] فالخطاب يشمل عامة المسلمين وإن كان في ظاهره موجهاً للنبي (ﷺ).

وقد ورد في القرآن الكريم ما هو مقدَّم في اللفظ مؤخر في المعنى في سياق التساهل، قال تعالى في سورة المائدة:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِيْنَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الأَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٥١]

حيث جاء لفظ (الصابئون) بالرفع على القراءة المشهورة وعليه مصاحف الأمصار والجمهور، وفي توجيه القراءة بالرفع وجوه[٥٢]، بيد أننا نعرض الوجه المختار الذي ذهب إليه الخليل وسيبويه ونحاة البصرة بأنه رُفع على الابتداء وخبره محذوف، والنية به التأخير، والتقدير: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى..... فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك)، وانشد سيبويه فيه شاهدا لبشر بن أبي خازم [٥٣]:

وإلاّ فاعْلَموا أنّا وأنتم بُغاةٌ ما بَقينا في شقاق

فقوله (وأنتم) مقدم في اللفظ مؤخر في المعنى، كأنه قال: أنّا بغاة ما بقينا في شقاق وأنتم كذلك [٥٤]، وبهذا يكون العطف من باب عطف الجمل، فالصابئون وخبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله: (إن الذين آمنوا)، وإنما قَدَّم سبحانه وتعالى (الصابئون) تنبيها على أنه – وعلى الرغم من أن هؤلاء أشدُ إيغالاً في الضلالة، واسترسالاً في الغواية لأنهم قد خرجوا عن الأديان كلها – يتساهل معهم كسائر الطوائف الأخرى، فيقبل منهم توبتهم ويزيل ذنبهم، إنْ صحَّ منهم الإيمانُ والعملُ الصالحُ. وفي بيان هذه الدلالة يقول الزمخشري: «فإن قلتَ: ما التقديمُ والتأخيرُ إلا لفائدةٍ، فما فائدة هذا التقديم؟ قلتُ: فائدتُه التنبيهُ على أن الصابئين يُتابُ عليهم، إنْ صحَّ منهم الإيمانُ والعملُ الصالحُ، فما الظنُّ بغيرهم ؟ وذلك أنَّ الصابئين أبينُ هؤلاءِ المعدُودِينَ ضَلاَلاً وأشدُّهم غَيّا، وما سُمُّوا صابئين إلا أنهم صَبَئُوا عن الأديان كلِّها، أي: خَرَجُوا عنها» [٥٥].

المبحث الثاني

العدول الترتيبي في سياق التشدد

ومما ورد من **العدول الترتيبي** في القرآن الكريم في سياق التشدد، قوله تعالى:
﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِيْنَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ كَثِيْرًا O وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَفِرِيْنَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيْمًا﴾ [٥٦].

فقد قُدِّم فيها الجار والمجرور (فبظلم) على فعل التحريم الماضي، تقريعا وتشديدا على بني إسرائيل، نظراً للذنوب والمظالم التي ارتكبوها بدلالة سياق الآية والآيات التي قبلها، والتي ورد فيها تَعدادُ المظالم التي ارتكبوها، قال تعالى:

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـءَايَـتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنبِيَـاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ قَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إلا قَلِيْلاً O وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَـنًا عَظِيْمًا O وَقَوْلِهِمْ إِنَّـا قَتَلْنَا الْمَسِيْحَ عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ﴾ [٥٧].

وفي بيان دلالة الآية على التشدد يقول فخر الدين الرازي:« واعلم أنه تعالى لما شرح فضائح أعمال اليهود وقبائح الكافرين وأفعالهم، ذكر عُقيبه تشديدَه تعالى عليهم في الدنيا وفي الآخرة، أما تشديدُه عليهم في الدنيا فهو أنه تعالى حرّم عليهم طيبات كانت محلّلةً لهم قبل ذلك..، ثم إنه تعالى بيّن ما هو كالعلة الموجبة لهذه التشديدات. واعلم أن أنواع الذنوب محصورة في نوعين: الظلم للخَلْق، والإعراض عن الدين الحق، أما ظلم الخلق فإليه الإشارة بقوله (وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ الله)، ثم إنهم مع ذلك في غاية الحرص في طلب المال، فتارة يحصلونه بالربا مع أنهم نهوا عنه، وتارة بطريق الرشوة وهو المراد بقوله [وَأَكْلِهِمْ أموالَ النّاسِ بالباطل]، فهذه الأربعة هي الذنوب الموجبة للتشديد عليهم

في الدنيا وفي الآخرة، أما التشديد في الدنيا فهو الذي تقدم ذكرُه من تحريم الطيبات عليهم، وأما التشديد في الآخرة فهو المراد من قوله ﴿ **وَأَعْتَدْنَا للكافرين مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً** ﴾» [٥٨].

وأصل الجملة التوليدي:

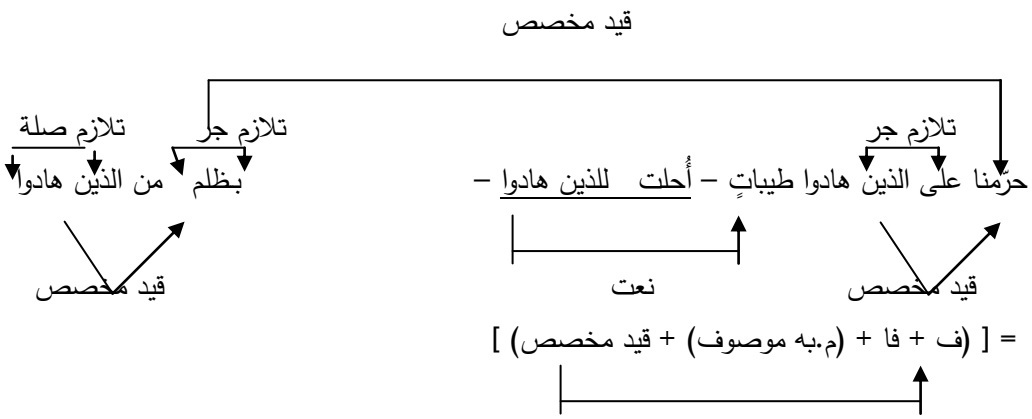

ولما أراد الله سبحانه وتعالى أن تذهب نفس السامع كل مذهب في التشنيع والتشدد مع هؤلاء الظالمين الناقضين لعهودهم، قَدّم الجار والمجرور (بظلم) على عامله (حرّمنا)، لأن «ترتيب الكلمات في العبارة يَتْبع أحوال النفس وما يثار فيها، أو ما يمكن أن يثار فيها من معانٍ وصور»[٥٩]، فأفاد الاهتمام بالتقديم «التنبيهَ على فحش ظلمهم»[٦٠]، وعلى مدى قبح سبب التحريم [٦١] ، واستعيض عنه برابط يدل على تقدمه، فتحولت إلى:

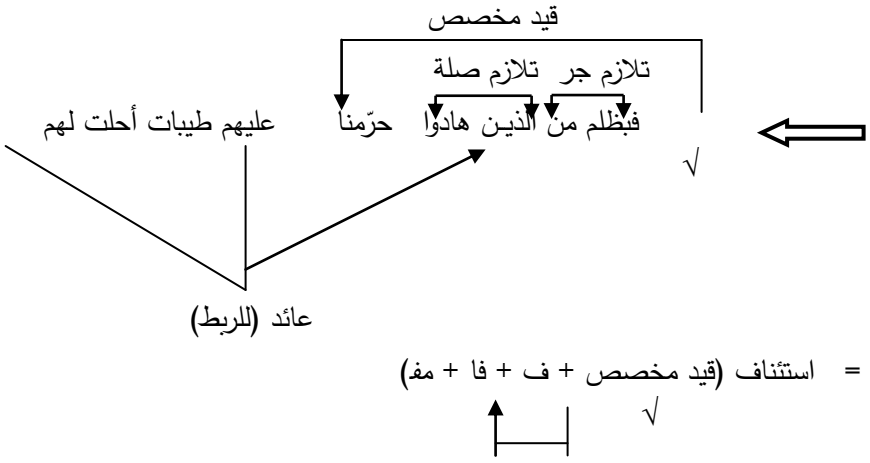

فالجملة إذن فعلية تحويلية بالتقديم، وهذا التقديم هو الغرض الذي قُصد إليه إيثاره والإخبارُ عنه بأنه سبب التشدد معهم، بتحريم ما أُحل لهم [٦٢]. وعليه يكون ذكر سبب التشدد الذي حل بهم، في المرتبة الأولى من حسن الترتيب، وهذا الترتيب من لطائف أسلوب القرآن الكريم في سوق حكم التشدد، مشفوعا بعلله وأسبابه في السياق القرآني.

ومنه أيضا قوله تعالى في سورة نوح (عليه السلام):

﴿ **مِمَّا خَطِيْئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللهِ أَنْصَارًا** ﴾[٦٣].

هذه الآية إخبار من الله تعالى لرسوله محمد (ﷺ) بأنه قَدَّر النصر لنوح (عليه السلام) والعقابَ الشديد في الدنيا لمن عصوه، حيث جاء فيها تقديم الجار والمجرور (من خطيئاتهم) على عامله الفعل الماضي (أُغرِقوا)، تشنيعا وتشددا مع قوم نوح لكثرة ذنوبهم وعتوهم وإصرارهم على كفرهم ومخالفتهم رسولهم [٦٤] الذي استغرقت دعوته إلى توحيد الله وعبادته وحدَه ألف سنة إلا خمسين عاماً، في جهدٍ دائب ما ترك وسيلة إلا استخدمها لإقناعهم بدعوته سراً وجهراً وترغيباً وترهيباً ووعداً ووعيداً، واحتجاجاً واستدلالاً بالأدلة العقلية والحسية من واقع أنفسهم من السماء والأرض، إلا أن كل ذلك لم يُجد نفعاً معهم بل أصروا على كفرهم وتمردهم، فكانت النتيجة لهذا التزمُّت والتعنت والاستكبار أن تشدد الله سبحانه وتعالى معهم فأنزل عليهم الهلاك والدمار [٦٥].

والجملة قبل التحويل الموضعي:

أُغرقوا فأدخلوا نارا من أجل خطيئاتهم

فلما قدَّم الرب تعالى الجار والمجرور (من خطيئاتهم) على عامله (أغرقوا)، أراد العناية والتركيز على خطيئاتهم وذنوبهم التي استوجبت التشدد معهم، وكانت سبباً في إنزال العقاب عليهم، لِما يُوقعه البدءُ به من ترقب ورهبةٍ في نفس المتلقي مما يجعله يَتحفَّز بكل حواسه لمعرفة سبب ما حل بهؤلاء القوم، فأفاد التقديم القصر أي: ما أغرقوا إلا بسبب خطيئاتهم:

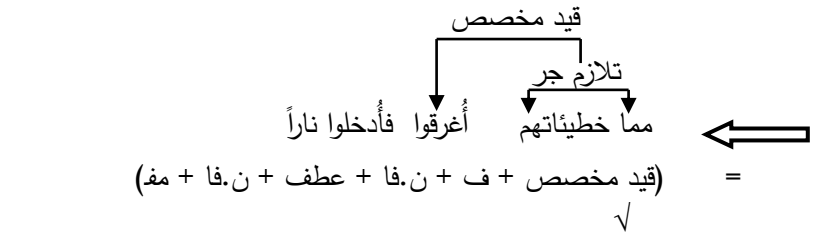

ولما أراد أن يبين جسامة خطيئاتهم أدخل (ما) الزائدة بين الجار والمجرور لتعظيم الخطايا في كونها من كبائر ما ينهى عنه [٦٦]. فالجملة إذن فعلية تحويلية بالتحويل الموضعي أولاً فبان بذلك التحويل أن «إغراقَهم بالطوفان فإدخالهَم النار لم يكن إلا من أجل خطيئاتهم»[٦٧]، وبالزيادة ثانياً لتأكيد وتعظيم هذا المعنى، وإنما اقتضت الضرورةُ هنا الإشارةَ إلى الزيادة لأنها وقعت في جزئيات التقديم والتأخير.

ومما ورد في سياق التشدد الصرامة في إقامة الحد، وعدم الرأفة في أخذ الفاعِلَين بجرمهما، وعدم التساهل والترفق في إقامته، فيقول الله تعالى:

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴾[٦٨]

فقد تقدم المفعول به (الزانية والزاني) على فعل الأمر (فاجلدوا)، تغليظا وتشددا مع الفاعلَينِ دون تساهل وتسامح معهما ولا هوادة [٦٩]،وهو ما أكد عليه سبحانه وتعالى بقوله: (ولا تأخذكم بهما رأفة) أي «في شدة الضرب»[٧٠].

وأصل الجملة التوليدي:

اجلدوا الزانية والزاني ، كلَّ واحد منهما...

= (ف + فا + مف) + بدل أي (اجلدوا كل زانية وزانٍ مئة جلدة)

ولما أراد عَزّ مِن قائل الاهتمام والتأكيد على موطن الداء والفحش والخطورة، ومرتكبي الإثم، ولفْتَ انتباهِ السامعين بذكره أولاً، قدَّم موضع اهتمامه تنبيهاً على ما يستوجب التشدد إزاءه وعدم التساهل والتسامحِ في الأمر، و«تغليظاً في أمر الزنا» [٧١]، وأعطاه حركةَ الرفعِ الموهمةَ بالابتداء حتى يتصور السامع بادئ ذي بدء أنه مسند إليه، فحسب مفهوم النحاة للجملة الاسمية ومعاييرهم لابد أن يكون (الزانيةُ والزاني) بدايةَ جملة اسمية، لأنه سبحانه ابتدأ بها الكلام. ومن هنا جاء الاختلاف بين تخريجات النحاة للحركة الإعرابية، فالقياس عند سيبويه النصبُ لأن حدَّ الكلام في الأمر والنهي تقديم الفعل، وهو فيه أوجب، فهو عنده كقولك: زيداً اضربه، وبه قرأ عيسى بن عمر الثقفي وآخرون [٧٢] ، إلا أنه مع ذلك قَدَّر وجهَ الرفعِ على أنه مبتدأ خبرُهُ محذوف تقديره: (فيما فُرض عليكم الزانيةُ والزاني) أو (الزانيةُ والزاني فيما فرض عليكم) [٧٣]. أما الفرّاء فوجُه الرفع عنده – على قراءة الجمهور – بما عادَ من ذكرهما في قوله: (كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا)[٧٤]، فهو عنده كقوله تعالى:﴿ **وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا** ﴾ [٧٥].

ولعل حسَّ سيبويه اللغويَ هو الذي جعله يختار النصب في (الزانية والزاني) كونه من حيث المعنى مفعولاً به، فالأمر بالجلد وقع عليهما، مدركاً الأصل التوليدي للتركيب بقوله: «وقد قرأ أناس: (والسارقَ والسارقةَ) و(الزانيةَ والزانيَ)، وهو في العربية على ما ذكرت لك من القوة، ولكن أبت العامةُ إلا القراءةَ بالرفع. وإنما كان الوجهُ في الأمر والنهي النصبَ لأن حد الكلام تقديمُ الفعل، وهو فيه أوجب» [٧٦]، مما يدل على أن تقديم الاسم على الفعل كان تغييرا في التركيب الأصلي للجملة. ومن ثم أَدخَل عزّ وجل عنصرَ زيادة لإفادة معنى الجزاء فقرَن الأمرَ بـ(الفاء)، إشارة إلى ترتبه على ما أقدَموا عليه من إثمٍ:

تلازم إضافة تلازم جر

الزانية والزاني ⟸ فاجلدوا كل واحد منهما...

(موضع اهتمام) (ف + فا + مف)

√

وهذا النوع من تقديم موضع العناية والاهتمام نبَّه عليه ابن جني، فقال: «إن أصل وضع المفعول أن يكون فضلة وبعد الفاعل كـ(ضرب زيدٌ عمراً) فإذا عَناهم ذكر المفعول قدموه على الفاعل فقالوا: (ضرب عمراً زيدٌ) ، فإن ازدادت عنايتُهم به قدَّموه على الفعل الناصب فقالوا:

(عمراً ضَرَب زيدٌ)...» [٧٧].

ونظير هذه الآية تماماً قوله تعالى في سياق التشدد:

﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ** ﴾[٧٨]

فأصل الجملة التوليدي يقدر بقولنا:

تلازم إضافة تلازم عطف

اقطعوا أيدي السارق والســـارقـــة

= (ف + فا + مف)

ولما أراد عز وجل أن يؤكد على «التشدد ضد الجريمة والمجرمين»[٧٩]، قَدَّم موجبَ التشدد، وموضعَ عنايته واهتمامه، وهو المفعول به معنىً: (السارق والسارقة)، فما من شك أن (أيديَهما) جزء منهما، وأكبر دليل على ذلك: الضميرُ في قوله تعالى (جزاءً بما كسبا) وهو ألف الاثنين والذي يعود على (السارق والسارقة)، فالفعل واقع عليهما، وقراءةُ النصب التي تفيد الأمر، أي: اقطعوا السارقَ والسارقةَ، ثم فُسِّر الفعل بقوله:(فاقطعوا أيديهما) [٨٠]، وكذلك اختيارُ النحاة في هذه الحالة النصب في عموم الكلام إذا كان الفعل طلباً [٨١].

ولإفادة معنى الجزاء أُدخِل عنصر زيادة وهو (الفاء)، فقرَن الأمرَ به، إشارةً إلى ترتبه على ما أقدَموا عليه من جريمة:

⇐

تلازم إضافة

أيديـهما السارق والسارقة فاقطعوا

(ف + فا + مف) (موضع اهتمام)

√

عائد (للربط)

فقد قُدِّم بعضُ المفعول به، وهو المضاف إليه، بعد أن أُستعيضَ عنه بعائدٍ يعود عليه للربط. وما أشبَهَ العلاقةَ هنا بين (السارق والسارقة) و (أيديَهما) بالعلاقة بين البدل والمبدل منه، فالأيدي بعضٌ من كل إلاّ أن الإعراب تغيَّر بسبب اختلاف حركة (الكل) هنا، واتفاقِ العامة على وجه الرفع.

وقد أشار ابن يعيش إلى هذا الارتباط بين البدل وموضع الاهتمام من المتكلم، فقال: «...وأما الثاني وهو بدلُ الشيءِ من الشيءِ وهو بعضُه، كقولك: رأيتُ زيداً وجهَه، ورأيت قومَك أكثرَهم وثُلُثَيهِم، وناساً منهم، وصرَّفتُ وجوهَها أوَّلهَا، فالثاني من هذه الأشياء بعضُ الأول وأبدَلتَه منه ليُعلَمَ ما قَصدتَ له وليَنتَبِه السامعُ فثَبَت بقولك: (رأيت زيداً وجهَه)، موضعُ الرؤيةِ منه، فصار كقولك: (رأيتُ وجهَ زيدٍ)»[٨٢]، فتقديم زيد هنا إما لأنه أكثر عِلميةً لدى السامع أو لأنه أكثر أهمية لدى كل من السامع والمتكلم، فيُقدمه لجذب انتباهِ السامع كما نص عليه ابن يعيش، ثم يحدد منه الجزء الذي وقع عليه الحدث. إلا أن (السارق والسارقة) موضعَ الاهتمام قُدم على الفعل والفاعل والمفعول الجزئي، بمعنى أنه تقدم من آخر عنصر من عناصر التركيب إلى أوله، لتُفتَتَح به الجملة القرآنية لإعطائه أقصى درجةً من العناية، والتوكيد على وجوب «التشدد في عقوبة السرقة» [٨٣].

وأرى من الحيف أن لا نشير هنا إلى أن فيما ذهب إليه الفرّاء التفاتاً كبيراً إلى أهمية التحويل بالحركة الإعرابية بوصفها عنصراً من عناصر التحويل، فحركة النصب تفيد التعيين والتخصيص، وحركة الرفع تدل على التعميم، يقول الفراء في (السارق والسارقة): «مرفوعان بما عاد من ذكرهما. والنصب فيهما جائز، كما يجوز: أزيدٌ ضَرَبتَه؟، و أزيداً ضَرَبتَه؟، وإنما تختار العربُ الرفعَ في (السارق والسارقة) لأنهما غير مؤقتين، فوُجِّها توجيه الجزاء، كقولك: مَنْ سرق فاقطعوا يده، فـ(من) لا يكون إلا رفعاً، ولو أردتَ سارقاً بعينه أو سارقة بعينها كان النصبُ وجه الكلام» (٨٤).

إذ نَفيد منه – ونحن معنيون بوضع هذا الحكم النحوي الجديد موافقا للدلالة – أن المعنى المراد من الرفع الذي هو تعميم الحكم الشرعي بالتشدد في العقاب على كل من يرتكب هذا الجرم دون تعيين أو تخصيص، وليكون الحكم شاملا غير مقصور على فرد أو فئة دون أخرى، وغير محدود بزمن أو حقبة بل ساريا عبر الأزمان، فَرَضَ عليه تغييراً في وضع عناصر التركيب، حيث ذَكَر المفعول به أولاً، فتحوَّل بإعطائه حركة الرفع من كونه فضلةً إلى كونه عمدةً، مما يجعله واحداً من ركني الإسناد في التركيب، بنقل حكمه النحوي من باب المفعول إلى باب الابتداء.

ولقد التفت ابن جني إلى هذا التحويل بالحركة الإعرابية وانتقال الحكم جرّاءه من باب إلى باب على وفق اختلاف الدلالة المقصودة، في معرض حديثه عن المفعول: «...فإن ازدادت عنايتهم به قدموه على الفعل الناصب فقالوا: (عمراً ضَرَب زيدٌ)، فإن تظاهرت العنايةُ به عقدوه على أنه ربُّ الجملة، وتجاوزوا به حدَّ كونِه فضلةً فقالوا: (عمرو ضربَه زيدٌ) فجاؤوا به مجيئا ينافي كونَه فضلةً، ثم زادوه على هذه الرتبة فقالوا: (عمرو ضَرب زيدٌ) فحذفوا ضميره، ونَوَوْه، ولم ينصبوه على ظاهر أمره، رغبةً به عن صورة الفضلة، وتحاميا لنصبِه الدال على كون غيره صاحب الجملة» (٨٥). ونحن نعلم أن الجملة الاسمية أدلُ على ثبات الحكم من الجملة الفعلية، فالتحويل من النصب إلى الرفع، ثُمّ نَقْلُ الباب النحوي من المفعولية إلى الابتداء، ليس مجرد تعبير إنما هو اختيار مقصود من الله سبحانه وتعالى للدلالة على الحكم الدائم. وهذا إنما يؤكد أن مقدار الدلالة يتوقف على مقدار التغيير في التركيب، فالتغيير الذي لا يَصْحبُه انتقالٌ في الحكم النحوي لا شك أن له دلالةً، ولكنها لا ترقى في نفاذها وقوتها إلى ما يقع فيه تغييرٌ مصحوبٌ بانتقالٍ في ذلك الحكم إلى آخر.

وعلى هدي ما أقرّ به ابن جني في (المحتسب)، والدرسُ النحوي الحديث، فالجملتان في الآيتين الكريمتين إذاً فعليتان تحويليتان، قُدِّم فيهما موضعُ الاهتمام، وهو المفعول به في الآية الأولى، وبعضُ المفعول في الآية الثانية، ثم غُيِّرت حركتُه فيهما لغرض دلالي جديد غيرِ معناه في حالة النصب، بعد ذلك أُدخل فيهما عنصر زيادة وهو (الفاء) لتأكيد مضمون الجملتين والأمرِ فيهما. فهذه ثلاثة عناصر تحويل طرأت على الجملة.

الخاتمـــة

لقد تمخض البحث عن النتائج الآتية:

بدا للباحث أن الجمع بين هذه الثنائية الضدية (التساهل والتشدد) جاء مراعاة للتوازن النفسي عند الانسان، فهو في بعض الحالات أشد استجابة لدواعي المصلحة فينفعه التساهل والتسامح، وفي حالات أخرى يكون أشد انسياقاً وراء الإفساد والعدوان فلا يرعوي إلا بالتشدد والتغليظ.

– إن القرآن الكريم لايعمد إلى العدول الترتيبيّ (التقديم والتأخير) إلا لغايات دلالية يقصد إليها، فهو ذو مغزى دلاليّ، يتبع أحوال النفس وما يمكن أن يُثار فيها من صور ودلالات تكون أشد تأثيراً في المتلقي من الترتيب على النظام النحوي المألوف.

– تبين أن الدلالة هي الحاكمة والنحو محكوم عليه، فلا محيص من استجابة النحو بالعدول عن ترتيبه المألوف لعناصره بالتقديم والتأخير لإبراز دلالة التساهل والتشدد في الموضوعات التي عالجها القرآن الكريم، بأبلغ ما يمكن تبليغها.

– ظهر في البحث أن مقدار الدلالة يتوقف على مقدار التغيير في التركيب، فالتغيير الذي لا يصحبه انتقال الحكم لا شك أن له دلالته، غير أنها لا ترقى في نفاذها وقوتها إلى ما يقع فيه تغيير مصحوب بانتقال في ذلك الحكم إلى آخر. وهذا ما ظهر في التعبير عن دلالتي التساهل والتشدد بالعدول الترتيبيّ.

– العدول الترتيبيّ ضرب من ضروب التوكيد، لأنه يمنح المقدَّم شيئاً وافياً من الاهتمام والتخصيص والحصر، فالتركيب قبل العدول لا تركيز فيه على أي جزء من أجزاء المعنى.

– تبين أن العدول الترتيبيّ أحسن تطرية لنشاط السامع وأقوى إيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على نمط واحد.

– أفاد العدول الترتيبيّ التنبيه على فحش الظلم وعلى مدى قبح سبب تحريم الطيبات لأجل ان تذهب نفس السامع كل مذهب في التشنيع والتشدد مع الظالمين.

– وجدت أن القرآن الكريم شدد على ترك الإكراه والخشونة،واعتمد التساهل والتسامح والتوصية باللطف في الدعوة عندما اختار تقديم الفاعل على فعله بعد الاستفهام الإنكاري التعجبيّ.

– تبين أن القرآن الكريم ترك المحاججة والجدال، وأمر بتفويض الأمر إلى الله في بيان المحق والمبطل بأسلوب التحقيق والتوكيد من خلال تراكيب معدولة الترتيب.

– حصل تقديم متفرد في العدول الترتيبيّ وذلك بتقديم آخر عنصر من عناصر التركيب إلى أول الكلام ليفتتح به الجملة لمنح المقدَّم أقصى درجة من العناية والتوكيد على وجوب التشدد في عقوبة السرقة كما في قراءة آية **(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما)** بالنصب على المفعولية بدلاً من الرفع على الابتداء كما في قراءة العامة.

– تبين أن تقديم المفعول به على الفاعل أقل شاناً في العناية من تقديمه على الفعل.أي أنه إذا زادت عنايتهم قدموا المفعول على فعله.

– تبينت أهمية التحويل بالحركة الإعرابية بوصفها عنصراً من عناصر التحويل عند العدول الترتيبيّ، حيث يقدم المفعول بتغيير حركة الابتداء من الرفع إلى النصب، كما في آيتي (الزانية والزاني...)، و (السارق والسارقة...)، وكذلك ظهر معنى الرفع والنصب في دلالة الآيتين، حيث أفاد النصب التعيين والتخصيص في إجراء الحكم، أما الرفع فيفيد التعميم، والحكم الدائم. و بهذا ترجح قراءة الرفع على النصب كما في قراءة العامة بالرفع للآيتين.

– وقد يأتي العدول الترتيبيّ باللفظ مقدماً على نية التأخير معنىً،كما في (الصابئون) في الآية الكريمة (إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى.....)، أي على تقدير: (... والنصارى والصابئون كذلك.)

– وقد يأتي العدول الترتيبيّ في معنى الحصر بالنفي والاستثناء كما في الآية الكريمة:

(مما خطيئاتهم أغرقوا....)، أي: ما أغرقوا إلا بسبب خطيئاتهم.

– ورد في تراكيب التساهل والتشدد العدول الترتيبيّ بتقديم شبه الجملة كثيراً على متعلقه الفعل الماضي أو اسم الفاعل الواقع موقع المسند، أو على المسند إليه.

الهوامش والتعليقات

(*) قائمة الرموز والمصطلحات: (√ : تحت الكلمة، يشير إلى أنها قدمت للعناية والتوكيد.)(Ø : الحذف)،(ف V : الفعل)، (فا S : الفاعل)، (م : المبتدأ)،(خ : الخبر)،
(مف، (م.به) O : المفعول به)، (ن، فا : نائب فاعل)، (Ỹ: عنصر توكيد) ،
(⊃ : يتضمن)،(Agent : توكيد).

(١) البلاغة والأسلوبية ٣٣١.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز ٥٤، وفي نحو اللغة وتراكيبها ٨٨، والثنائيات المتغايرة ٥١، والبنى النحوية وأثرها في المعنى، أحمد عبدالله العانيّ،(رسالة دكتوراه): ١٢.

(٣) الكتاب١/٣٤.

(٤) حاشية الصبان ١٠٧/٤ ، وينظر: ٣٠٢/٢ منها.

(٥) وهذا البيت مَن رَوى أوّله: (لعزة موحشاً..الخ) قال: هو لكُثيّر عزّة، ومن رواه: (لميّة موحشاً) قال: إنه لذي الرمة، فإن عزّة اسم محبوبة كثير، وميّة:اسم محبوبة ذي الرمة، والشاهد المشهور في هذا المعنى هو: (لمية موحشاً...الخ) وقد قيل: إنه لكثير، ينظر: الكتاب ١٢٣/٢ ، وخزانة الأدب ٢٠١/٣.

(٦) الاتجاهات النحوية لدى القدماء: ٢٢٠.

(٧) ينظر دلائل الإعجاز ٨٥ ـ ٨٦.

(٨) المصدر نفسه ٨٧.

(٩) التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ١٤٣.

(١٠) البلاغة والأسلوبية ٣٢٩.

(١١) دلائل الإعجاز ٨٥.

(١٢) ينظر: الثنائيات المتغايرة ٥٥.

(١٣) الأسلوبية والأسلوب ١٦٣.

(١٤) التطور النحوي للغة العربية ١٣٣.

(١٥) من أسرار اللغة ٣٣٣.

(١٦) من بلاغة القرآن ١١٢.

(١٧) العنكبوت ٤٦.

(١٨) ينظر: التحرير والتنوير ٦/٨، و٨، وجامع البيان في تأويل القرآن ٤٦/٢٠، والكشاف: ٨٢٠، والبحر المحيط ١٥٠/٧، وفي ظلال القرآن ٢٧٤٥/٥.

(١٩) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٤٦/٢٠، الكشاف: ٨٢٠.

(٢٠) مفاتيح الغيب ٦٧/٢٥.

(٢١) التحرير والتنوير ٨/٨.

(٢٢) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه ٢٤٢.

(٢٣) ينظر: الكشاف ٢٩، والإيضاح في علوم البلاغة ٧٤.

(٢٤) آل عمران ١٥٩.

(٢٥) تفسير المنار ١٩٩/٤.

(٢٦) المصدر نفسه ١٩٨/٤- ١٩٩.

(٢٧) ينظر مفاتيح الغيب ٥٠/٩.

(٢٨) ينظر: الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢٤٨/٤، وجامع البيان في تأويل القرآن ٣٤١/٧، و معالم التنزيل: ١٢٤/٢، والتحرير والتنوير: ١٤٥/٢، وروح المعاني ١١١٨/٣.

(٢٩) التحرير والتنوير١٤٥/٢.
(٣٠) ينظر:معاني القرآن للأخفش ١٤٩، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٤٦١/٣، والتحرير والتنوير: ١٤٤/٢، وروح المعاني ١١١٨/٣، وإعراب القرآن الكريم وبيانه ٥٥٨/١.
(٣١) القصص: ٥٥.تكملة الآية: (...سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين) .
(٣٢) ينظر: الكشاف ٨٠٦، وجامع البيان في تأويل القرآن ٥٩٧/١٩-٥٩٨، وتفسير القرآن العظيم ١٢٢/٦، ومعالم التنزيل ٢١٤/٦، والمحرر الوجيز ٢٩٢/٤، وروح المعاني ٥٦١٧/١١.
(٣٣) ينظر في نحو اللغة وتراكيبها ٩٤.
(٣٤) التحرير والتنوير١٤٦/٨.
(٣٥) ينظر: المصدر نفسه: ١٤٦/٨، وروح المعاني ٥٦١٧/١١.
(٣٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم ١٢٢/٦، والمعجم الكبير للطبرانيّ ٢٢٢/٥.
(٣٧) الشورى: ١٥.
(٣٨) التحرير والتنوير ٦٣/١٠.
(٣٩) التحرير والتنوير٦٠/١٠-٦٤.
(٤٠) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ٦١٥/٢-٦١٧.
(٤١) ينظر: الكشاف ٩٧٦، والتحرير والتنوير٦٤/١٠.
(٤٢) الآية: ٩٩.
(٤٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢١٠/٩.
(٤٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن٢١٢/٥، وتفسير القرآن العظيم ٢٩٨/٥.
(٤٥) في ظلال القرآن ١٨٢١/٣.
(٤٦) التحرير والتنوير٢٩٣/٥.
(٤٧) الكتاب١٣٧/١، وينظر: شرح الرضي٤٤٧/١، وحاشية الصبان ٣٠٠/١ .
(٤٨) ينظر: التحرير والتنوير ٢٩٣/٥، وروح المعاني ٢٩٦٦/٦.
(٤٩) دلائل الإعجاز ٨٨.
(٥٠) التحرير والتنوير ٢٩٣/٥.
(٥١) الآية: ٦٩.
(٥٢) ينظر: مفاتيح الغيب ٤٤/١٢، و البحر المحيط ٥٤١/٣، واللباب في علوم الكتاب ٤٤٢/٧- ٤٤٨، والجواهر الحسان ٤٤٣/١، والدر المصون ٣٥٣/٤ .
(٥٣) ينظر: خزانة الأدب ٣١٩/١٠ - ٣٢٠.
(٥٤) ينظر: الكتاب ١٥٦/٢، والكشاف ٣٠١، والجامع لأحكام القرآن الكريم ٢٤٦/٦، واللباب في علوم الكتاب ٤٤٢/٧، وإعراب القرآن الكريم وبيانه ٢٦٩/٢.
(٥٥) الكشاف ٣٠٢.
(٥٦) النساء: ١٦٠و١٦١.
(٥٧) النساء: ١٥٥ و١٥٦ و١٥٧.
(٥٨) مفاتيح الغيب ٨٣/١١.
(٥٩) البحث الدلالي في تفسير الميزان ٢٢٩.
(٦٠) البحر المحيط ٤١١/٣.
(٦١) ينظر إعراب القرآن وبيانه ١٥٠/٢.
(٦٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٢/٦.
(٦٣) الآية: ٢٥.
(٦٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٦٤١/٢٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٣٦/٨، والتحرير والتنوير ٢١٢/١٢.
(٦٥) ينظر: منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، فيه الحكمة والعقل (بحث): ١٣٩، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد: ٦٣-٦٤، المصدر: ملتقى أهل الحديث http://www.ahlalhdeeth.com.
(٦٦) ينظر: روح المعاني ٧٦٧٤/١٥.
(٦٧) الكشاف: ١١٤٤.
(٦٨) النور: ٢.
(٦٩) ينظر: المحرر الوجيز ١٦١/٤، وفي ظلال القرآن ٢٤٨٧/٤ - ٢٤٨٨.
(٧٠) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/٦.
(٧١) البحر المحيط ٣٩٢/٦.
(٧٢) قرأ عيسى بن عمر الثقفي، ويحيى بن يعمر، وعمرو بن فائد، وأبو جعفر، وشيبة، وأبو السمال، ورويس: (الزانيةَ والزاني) بالنصب، أي: أجلدوا الزانيةَ والزاني، ينظر: المحتسب ١٠٠/٢، والبحر المحيط ٣٩٣/٦، ومعجم القراءات القرآنية ٢٣٤/٤.
(٧٣) ينظر: الكتاب ١٤٣/١-١٤٤، ودور المعنى في توجيه القاعدة النحوية ٤٢-٤٣.
(٧٤) معاني القرآن للفرّاء ٢٤٤/٢.
(٧٥) النساء: ١٦.

(٧٦) الكتاب ١٤٤/١.
(٧٧) المحتسب ٦٥/١.
(٧٨) المائدة: ٣٨.
(٧٩) في ظلال القرآن ٨٧٣/٢.
(٨٠) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي ١٠٦/٢. وبالنصب قرأ عيسى بن عمر، وابن أبي عبلة. ينظر: مفاتح الغيب ٣٩٨/٣، والبحر المحيط ٤٤٧٦/٣، ومعجم القراءات القرآنية ٢/ ٢٠٨.
(٨١) ينظر: الكتاب ١٤٤/١، وأوضح المسالك ١٦٢/٢.
(٨٢) شرح المفصل لابن يعيش ٢٥٩/٢.
(٨٣) في ظلال القرآن ٨٨٢/٢.
(٨٤) معاني القرآن للفرّاء ٣٠٦/١.
(٨٥) المحتسب ٦٥/١.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الاتجاهات النحوية لدى القدماء، دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، د. حليمة أحمد عمايرة، ط١، دار وائل، عمان، الأردن، ٢٠٠٦م.
- أحكام القرآن، أبوبكر محمد بن عبدالله بن العربيّ(٥٤٣هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، بيروت(د.ت).
- الأسلوبية والأسلوب، د. عبدالسلام المسديّ، ط٢، تونس ١٩٨٢م.
- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين درويش، ط٩، دار ابن كثير، ودار اليمامة، دمشق،بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبوالبركات عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباريّ النحويّ، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، دمشق، (د.ت).
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبومحمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاريّ، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٥، دارالجيل، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعدالدين بن عمر، الخطيب القزوينيّ، تحقيق: الشيخ بهيج غزاويّ، ط٤، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- البحث الدلاليّ في تفسير الميزان، دراسة في تحليل النص، د. مشكور كاظم العواديّ، ط١، مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- البحر المحيط، محمد بن يوسف بن علي الشهير بأبي حيان الأندلسيّ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، وشارك في التحقيق: د. زكريا عبدالمجيد النوقيّ، و د. أحمد النجولي الجمل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
- البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبداللطيف، ط١، دار نوبار للطباعة، القاهرة١٩٩٤م.
- البنى النحوية وأثرها في المعنى، أحمد عبدالله حمود العانيّ، (أطروحة دكتوراه، كلية الآداب جامعة بغداد، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م) .
- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبدالقاهر الجرجانيّ: د. عبدالفتاح لاشين، نشر دار المريخ، بالسعودية، ودار الجيل بمصر، (د.ت).
- التطور النحويّ للغة العربية،(محاضرات ألقاها برجستراسر في الجامعة المصرية)، أخرجه وصححه وعلق عليه: د. رمضان عبدالتواب، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٣٢هـ - ٢٠٠٣م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار مصر، الناشر: دار سحنون، تونس ١٩٩٧م.
- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ط٢، دار المعرفة ، بيروت، (د.ت).
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيّ الدمشقيّ (٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر و التوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز، د. دلخوش جار الله حسن دزيي، ط١، دار دجلة، الأردن، ٢٠٠٨م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبريّ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبيّ(ت٧٦١هـ)، تحقيق: أحمد عبدالعليم البردونيّ، ط٢، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ، ١٩٥٢م.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبيّ، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، (د.ت).
- حاشية الصبّان على شرح الأشمونيّ على ألفية ابن مالك، و معه شرح شواهد العينيّ، محمد بن علي الصبّان، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعيد، ، المكتبة الوقفية، (د.ت).
- خزانة الأدب و لب لباب لسان العرب، عبدالقادر بن عمر البغداديّ، (ت١٠٩٣هـ)، تحقيق: محمد نبيل الطريفيّ، بإشراف إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبـيّ (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دارالقلم، دمشق، (د.ت).
- دلائل الإعجاز في علم المعانيّ، عبدالقاهر الجرجانيّ، صحح أصله الإمام الشيخ محمد عبده، مفتي الديار المصرية، والشيخ محمد محمود التركزيّ الشنقيطيّ، وعلق عليه السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، بيروت، ١٤٢٢هـ،- ٢٠٠١م.
- دور المعنى في توجيه القاعدة النحوية من خلال كتب معاني القرآن، دراسة تحليلية وصفية، د. إيمان محمد أمين الكيلانيّ، ط١، دار وائل، عمان، الأردن،٢٠٠٨م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانيّ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسيّ البغداديّ، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- شرح الرضيّ على الكافية، محمد بن الحسين الرضيّ الاستراباذيّ، تصحيح، وتعليق: يوسف حسن عمرن ط٢، مؤسسة الصادق،(د.ت).
- شرح المفصل لابن يعيش، موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصليّ (ت ٦٤٣هـ)، قدم له، ووضع هوامشه وفهارسه: د. إميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، (د.ت).
- في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزوميّ، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٤م.
- في نحو اللغة وتراكيبها(منهج وتطبيق)، د. خليل أحمد عمايرة، عالم المعرفة، المملكة العربية السعودية، (د.ت).
- كتاب سيبويه، أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الجيل، بيروت، (د.ت).
- الكشاف عن حقائق التنـزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل(في مجلد واحد)، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشريّ الخوارزميّ(ت ٥٣٨هـ)، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقيّ الحلبـيّ (ت٨٨٠هـ)، تحقيق و تعليق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، والشيخ علي محمد معوض، و شارك في تحقيقه: د. محمد سعد رمضان حسن، و د. محمد المتولي الدسوقيّ حرب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: علي النجدي واصف، ود. عبدالحليم النجار، ود. عبدالفتاح إسماعيل شلبـيّ، إحياء التراث الإسلاميّ، القاهرة، ١٣٨٦هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسيّ، تحقيق: عبدالسلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- معالم التنـزيل: محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغويّ (ت٥١٦هـ)، حققه و خرج أحاديثه: محمد عبدالله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- معاني القرآن، أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعيّ البلخيّ البصريّ، المعروف بالأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ)، قدم له وعلق عليه ووضع حواشيه وفهارسه: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء(ت٢٠٧هـ) حقق الجزء الأول: أحمد يوسف نجاتي، و محمد علي النجار، و حقق الجزء الثاني: محمد علي النجار، مطابع سجل العرب، و مطبعة دار الكتب المصرية للتأليف و الترجمة، القاهرة، ١٤٣٧هـ - ١٩٥٥م.
- معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات و أشهر القرّاء، د. عبدالعال سالم مكرم، و د. أحمد مختار عمر، ط٢، من مطبوعات جامعة الكويت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- المعجم الكبير ،للطبراني، **سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل، العراق،ط٢، ١٤٠٤ه - ١٩٨٣م.**
- مفاتيح الغيب، أو (التفسير الكبير)، فخرالدين محمد بن عمر التميميّ الرازيّ الشافعيّ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، ط٧، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٥م.
- من بلاغة القرآن، د. أحمد أحمد بدوي، ط٣، مكتبة نهضة، مصر، (د.ت).
- منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، فيه الحكمة والعقل (بحث): ١٣٩، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد: ٦٣-٦٤، المصدر: ملتقى أهل الحديث http://www.ahlalhdeeth.com.
- نظم الدرر في تناسب الآيات و السّور، الإمام المفسر برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعيّ(ت٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلاميّ، القاهرة، (د.ت).

Abstract

The Holy Qur'an adopted many methods in its eternal speech to educate the recipients of the divine revelation, and chose the appropriate method for the nature of the events and the souls of the recipients so that it knocks and the iron is hot, and do not deviate from the injury of the target.

And this religion reached the extent of the decree in a record time, awesome the most illustrious scholars of education and society in our time.

Among these methods the method of leniency and determination in the achievement of educational guidance and implementation of its provisions, and the One marvels at the effect of this bilateral education in the Qur'an

And in particular the grammatical methods on which it is based to convey the Qur'anic concepts and achieve its goals.

Among these are the syntactic methods of the orthodontic order (submit and delay the elements of the sentence), which are characterized by the Arabic sentence. This flexibility was specialized by the Arabic in moving the elements of the sentence and the introduction of delay to achieve the purposes of the mark.

The Qur'an has expressed by this dualism about the provisions and concepts of the Qur'an in grammatical structures eloquent in various ways.

In this research, we have chosen the method of ordinal ordination (submission and delay), because of this method of priority in the Holy Qur'an at the will of focus and emphasis on what worth the attention and attention of judgments and concepts.

We then selected examples of Qur'anic verses that included leniency or rigidity. We then analyzed these structures on the binary, showing the grammatical significance suggested by the ordinal order. We followed the transformative method of analysis in the analysis, using sources and references

to reach the detection. The meanings of the surface and deep structure of these structures, which expressed the double tolerance and militancy.

We thought that the research would be located in a preliminary entrance and a conclusion preceded by two sections:

The first: deals with the ordinal order in the verses of leniency.

Second: deals with the ordinal order in the verses of extremism.

In analyzing the grammatical structures of the orthodontic statement, we used the explanatory diagrams, symbols and terms to perform the transformation process, and to assign grammatical elements.